

التفسير المختصر - سورة الأنعام (٠٦) - الدرس (٧-٣) : تفسير الآية ١١٠ ، معنى التأويل
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٤-٦-١٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين:
أيها الأخوة الكرام:

الآية الحادية عشر بعد المائة من سورة الأنعام وهي قوله تعالى:

﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَكَانَةَ وَكَلَمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ فَبُلَّا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَىٰ
أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ (١١١)﴾

القرآن الكريم: أيها الأخوة، معظم آياته محكمة، معنى محكمة يعني واضحة، لا تحتاج إلى تفسير، يفهمها كل من ينطق بالعربية، مثلًا إن الله يحب الصادقين، فسر، كالشمس في رابعة النهار.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا (٣٦)﴾

(سورة النساء: ٣٦)

﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا (١٠٣)﴾

(سورة النساء: ١٠٣)

أكثر آيات القرآن الكريم، محكمة، بل إن معظم الآيات الكريمة المتعلقة بالفرائض، وأصول الشريعة، محكمة.

لكن بعض الآيات متشابهة، معنى متشابهة تحتاج إلى تأويل.

أما التأويل سأوضحه لكم، بقصة تروى عن بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. يروى أن أحد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان عند سيدنا عمر رضي الله عنه، فقال والله يا أمير المؤمنين: إني أصلى بغير وضوء، وأفتر من رحمة الله، وأكره اليقين،ولي في الأرض ما ليس الله في السماء، هذه كلها كلمات كفر.

سيدنا علي رضي الله عنه، أotti فهمًا دقيقاً.

قال يا أمير المؤمنين: لا تعجل عليه، إنه يصلى على النبي بغير وضوء، ويفر من المطر، وهي رحمة السماء، ويكره اليقين وهو الموت ليزيداد عمله الصالح، وله زوجة وولد ما ليس الله في السماء.

فأحياناً النص يحتاج إلى تأويل، التأويل غير التفسير، إذا ورد في النص شيء غير معقول، لابد من تأويله، حتى يتوافق مع المعقول.

بعض الآيات متشابهة، الإنسان ماله حق يرفض المعنى، أو المعنى يجعله ارتباك، أو افتراض، أو سوء ظن بالله، ربنا عز وجل قال:

﴿بِلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾

(سورة يونس: ٣٩)

لو جاء تأويله لما كذبوا به، في آية أخرى.

يقول الله عز وجل:

﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٧)

(سورة الأنبياء: ٧)

في آية ثانية،

﴿فَاسْأَلُوهُ خَبِيرًا﴾ (٥٩)

(سورة الفرقان: ٥٩)

هذه الآية لعلها من المشابهات.

﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ﴾ نزل سيدنا جبريل، مو لسيدنا محمد لكل مؤمن، قال له أنا

جبريل: وأنا جئت من عند الله، والجنة حق والنار حق، وإلخ...

لو أن أحدنا لقى سيدنا جبريل، وسمع من فمه أن هذا القرآن حق وأن الجنة حق، وأن النار حق.

﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى﴾

بعد ما دفنا فلان، طرق الباب جاء بذاته، أنا كنت بالجنة وراجعاً أو كنت بجهنم وراجعاً، انتبهوا في أوضح من هذا دلالة، يعني ميت يرجع يحكى لنا شو صار معه.

﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشِّرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبْلًا﴾

المعجزات، النبي الكريم قال للجال: تنحي بعيداً راحت الجبال، ممكن ! الله على كل شيء قادر. لكن مع كل هذه المعجزات قال:

﴿مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾

يعني هل يفهم من هذا أن الله سبحانه وتعالى ما شاء لهم الهدى طيب لماذا خلقهم إذاً ؟

ألم يقل الله عز وجل:

﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلَدُنْكَ خَلَقَهُمْ﴾

(سورة هود: ١١٩)

ألم يقل الله عز وجل:

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّا وَالْإِنْسَا إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥٦)

(سورة الذاريات: ٥٦)

هذه الآية أيها الأخوة: دقة جداً، يعني الإنسان إذا طلب الهدى بخرق العادات فهو واهم، الكون بحد ذاته بوضعه الراهن بدون أن تخرق عاداته أكبر معجزة، ابنك أليس معجزة، باللقاء الزوجي ثلاثة مليون حoin وفي قول خمسة مليون، والبوصلة تحتاج إلى حoin واحد، فيه رأس، وعنق، وذيل، ومادة نبيلة مغطاة بغشاء رقيق فإذا وصل هذا الحoin القوي إلى البوصلة وأرتطم

بها تمزق الغشاء فساهم هذا السائل النبيل بحفر جدار البوياضة ليدخل هذا الحوين وهذا الحوين فيه خمسة آلاف مليون معلومة، الواحد، والبوياضة فيها خمسة آلاف معلومة، وبيتحدوا وينقسموا عشرة آلاف قسم، والبوياضة في طريقها إلى الرحم، دون أن يزداد الحجم، لئلا تتعرقل الحركة، ثم تغرس هذه البوياضة في جدار الرحم، وتتأني الأغذية، وبعد تسعه أشهر طفل، دماغ، أعصاب، أعصاب العين تسمعائه ألف عصب إذاً الإنسان مسك جمجمة، بلافي فيها ثقب، هذا الثقب هو عرض أو قطر العصب البصري، تسمعائه عصب، لكل عصب ثلاثة أعماد أغلفة، قطر هذه الأعصاب كلها واحد ميلي ونصف، أليس هذا معجزة خلق الإنسان معجزة، طعامه معجزة، والنبات مو معجزة؟ يعني النبات هي الروشين كائن حي، روشنين، سويق وجذير ومحفظة غذاء على الرطوبة ينموا، هذه البذرة تشكل شجرة، والشجرة ثمار وكل ثمرة فيها ملايين البذور، أليست هذه معجزة؟ النبات أليس معجزة؟ بذك ليفة نبات، بذك خلة نبات، بذك مسوالك نبات، أسبغة نبات، بذك خشب أساس نبات، بذك تأكل نبات، بذك كوشك نبات، بذك فلين نبات.

الله قال:

﴿نَبَاتٌ كُلِّ شَيْءٍ﴾

(سورة الأنعام: ٩٩)

فلما الإنسان يتعمى عن هذه الآيات الصارخة الدالة على عظمته الله، ويطلب خرق لقوانين، بدو الملك يحاكي بريد الميت يحاكي.

قال:

﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَمْهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبْلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾

إلا أن يسلكوا الطريقة التي رسمها الله.

يعني أوضح مثل، لو تقرأ كل المجالات الطبية، طبيبك، إلى آخره ما بتصرير طبيب، لو بتعمل كل ثلاثة سهرة مع خمس أطباء، ما بتصرير طبيب، ممكن تعمل ألف قضية لها علاقة بالطب، بس ما بتصرير طبيب، إلا أن تدخل كلية الطب، بمجموع علي بتعمل خمس سنوات أو سبع سنوات، بتعمل اختصاص، الآن بتصرير طبيب، بتقرأ مجالات طبية بتم غير طبيب، بتسرع مع أطباء، بذك خرق عادات بذك كرامات، بذك الملائكة يحكو لك، بذك ميت يحاكيك.

قال الله تعالى:

﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَمْهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبْلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾

إلا أن يسلكوا الطريق التي رسمها الله.

الله عز وجل قال:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولَئِي الْأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَكَبَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١)﴾

(سورة الأنعام: ١٩٠ - ١٩١)

يتذكر بالكون كما أمرك الله، تدبر القرآن كما أمرك الله، تنظر في أفعال الله في الحوادث كما أمرك الله، تتعلم منهج الله عز وجل تطبقه، هذا هو الطريق الذي رسمه الله لك. أما بذك كرامات، بذك خز عبادات، بذك شطحات، بذك يريد يعني خرق للعادات، هذه كلها لا تجعلك مؤمناً، ولن تؤمن بها، إن لم تؤمن بالكون بوضعه الراهن المعجز، لا تؤمن بخرق القوانين. بالله عليكم ثمود ألم يروا الجبل قد شق وخرجت منه الناقة، ومع ذلك عفروها.

طيب بنو إسرائيل ألم يروا موسى عليه السلام، ضرب بعصاه البحر فإذا هو طريق سالك، وساروا فيه، وتبعهم فرعون وعاد البحر بحراً بعد أن خرجوا منه، فلما رأوا أنساً يعكفون على أصنام لهم، قالوا يا موسى اجعل لنا إلهناً كما لهم إله، خرق هذه العادة أثر فيهم ما أثر فيهم شيء. طيب قوم إبراهيم ألم يروا أن النار لم تحرقه، الله أطلعنا عشرات المعجزات الخارقة وقتلت ولم يؤمن بها أصحابها، لأن الإنسان إذا ما آمن بالكون بوضعه الراهن لن يؤمن بخرق قوانينه. النقطة دقيقة كون علمي، يعني، لا تكون طوبائي، لا تكون حالم، لا تكون خيالي لا تشوف الدين كرامات، أعظم كرامة كرامة العلم، إذا الله علمك هذه أعظم كرامة.

بتلاقي بيتعلقو الناس، أنه فلان يعني فات لل محل قاموا الزبائن كثروا فات واحد فقسية البيعة، تقسى البيعة ما لها علاقة، النبي هكذا علمنا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، توفي ابنه إبراهيم، يعني الله عز وجل أراد أن يكون ذلك، الشمس كسفت، فأصحاب النبي قالوا إنما كسفت لموته، شوف البساطة شوف الفكر العلمي، شوف الوضوح.

قال: إن الشمس والقمر آيتان لا ينبغي أن تنكسفا لموت واحد من خلقه مالها علاقة، فالإيمان علم.

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾

(سورة فاطر: ٢٨)

لا تطلب الكرمات، ولا خرق العادات، ولا الشطحات، تتعلق بأشياء موهومة. قال لي مرة واحد، قال لي فلانولي عظيم، قلت له أنعم وأكرم، قال لي بالحج ما طاف حول الكعبة، لكن ماذا أفعل، قال هي طافت حوله ما شاء الله، شيء يطير العقل. واحد ثاني تلميذ لعالم صوفي، والله أنا أقطاب الصوفين أنا أحترمهم وأجلهم والله، لكن في بعدين صار في دجل كبير، له تلميذ جاء شخص قريب للتلميذ يتقدبه، قال له وبين فلان في ماء بالأرض من شدة حبه لهذا وذاك، هي صفي شوية مي بالأرض، كأس ماء، هذا هو فلان، فلان ثمانين

كيلو وزنه هذا هو، فلان، هذه وارده في كتب التصوف لا تتعلق بالأوهام، بالخرافات، والشطحات، والطوبائيات، والمنامات وخرق العادات.

﴿لَوْ أَنَّا نَرَكُنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمُهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَسَرَنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبْلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾

يعني إلا أن يسلكوا الطريق التي رسماها الله، أوضح مثل تبع الطب بقرأ كل مجلات الطب، بتسكن جنب مستشفى، بتصاحب الأطباء بتعيش بأجواء الأطباء، لا تكون طبيباً، إلا أن تسلك الطريق التي رسمتها الدولة لنكون طبيباً مثلاً يعني.

ذلك الله عز وجل قال لك: لا تعرفي إلا بهذه الطريقة، الكون يدل على وهذا كلامي، وهذه أفعالي، لك أن تعرفي من خلال خلقي ومن خلال كلامي، ومن خلال أفعالي، وهذا منهجي طبقه فأنتولي.

كثير عند الناس كلمة ولی مهزوزة، الله عز وجل عرف الولي، غريب، معقول إنسان يترك تعريف الله، ويحلق تعريفات معقدة.

الله عز وجل قال:

﴿إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزُنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾
(سورة يونس: ٦٢ - ٦٣)

فكل إنسان تعرف إلى الله، وطبق أمره فهو ولی.

ويتمكن ت Shawf واحد لابس قميص وبنطلون، بس صادق ما بيكتب مستقيم في بيعه وشرائه هذا ولی، قد تجد امرأة في بيتها ترعى زوجها ترعى حق أولادها، محجبة مهتمة في شؤون بيتها، لافتاتها صلاة، هذه ولیه هذه، ليس شرط الولي يكون ثيابه مبتذلة، وطرف قصور عقلي ليكون ولی، بالعكس.

المؤمن كيس، فطن، حذر، المؤمن شخصية فذة يعني تشدد بعقله عقله راجح، وبأخلاقه وبأداؤقه، مذوق.

أصلحوا رحالكم وحسنو لباسكم حتى تكونوا شامة بين الناس.

كان عليه الصلاة والسلام، إذا مشى يعرف بريح المسك، بيتعرى بيتطف، شعره مرجل، ثيابه أنيقة، نظيفة، هذا المؤمن، المؤمن سفير الإسلام، في دولة بتختار سفير عفش ! عفاishi، يعني أنيق ومتقن، بعض الدول ثلاثة شهادات بكون معه، علوم، وآداب وحقوق، ثلاثة لisanas، ليصير سفير، وكمان شروط إقامته وذكائه، وسرعت بديهته، بوسامته، بأناقته، لكن، عما يمثل دولة.

والمسلم يمثل الدين.

لذلك أنت على ثغرة من ثغر الإسلام فلا يؤتين من قبلـي.

إِذَا الإِيمَان يَتَمْ، بِنَكْرٍ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، دُونَ أَنْ تُخْرِقَ الْعَادَاتِ، يَتَمْ بِمَعْرِفَةِ مِنْهُجِ اللَّهِ، يَتَمْ فِي فَهْمِ الْقُرْآنِ، يَتَمْ فِي النَّظَرِ فِي أَفْعَالِ اللَّهِ.

فَأَنْتَ إِذَا عَرَفْتَ اللَّهَ وَطَبَقْتَ مِنْهُجَهُ، فَأَنْتَ وَلِيٌّ، وَهَذِهِ الطَّرِيقَةُ الَّتِي رَسَمَهَا اللَّهُ لَكَ.

أَمَا خُرُقُ الْعَادَاتِ، قَالَ لَهُ سَيِّدِي خَذْنِي عَلَى الْحَجَّ، قَالَ لَهُ رُوحٌ، قَالَ لَهُ لَا بَدِي دَفْشَةٌ مِنْكَ، فَفِي شَيْخِ اللَّهِ مَاتِي فَطْنَةً، قَالَ لَهُ تَعَالَى عَلَى التَّكِيَّةِ، جَابُوا عَلَى التَّكِيَّةِ، وَوَقَفُوا عَلَى الْبَحْرَةِ، وَحَلَفُهُمْ بِالْطَّلاقِ مَا بِيَحْكِي شَوَّ بِيَصِيرُ مَعَهُ، وَدَفْشَهُ بِالْبَحْرَةِ، قَالَ لَهُ رُوحٌ عَلَى الْحَجَّ، شَوَّ هِيَ شَطْحَةُ شَوَّ رُوحٌ عَلَى الْحَجَّ.

عَصْرٌ عَلِمَ إِذَا إِنْسَانٌ تَحْدُثُ بِهَذِهِ الشَّطْحَاتِ بِهَذِهِ مَرْكَزِ الدِّينِ بَيْنَ النَّاسِ.

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عَبَادِهِ الْعَلَمَاءُ﴾

هَذِهِ مَعْنَى الْآيَةِ، لَيْسَ مَعْنَى اللَّهِ مَا سَاقَ الْهُدَى، لَا بِالْعَكْسِ، يَفْهَمُ مِنْهَا أُولُو وَهَلَةٍ، أَنَّ اللَّهَ لَا يَرِيدُ أَنْ يَهْدِي أَحَدًا، لَا.

﴿لَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَمَّهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبْلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾

بِهَذَا الطَّرِيقَ، الطَّرِيقُ مَسْدُودٌ.

﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾

إِلَّا أَنْ يَسْلُكُوا الطَّرِيقَةَ الَّتِي رَسَمَهَا اللَّهُ.

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدِ الصَّادِقِ الْوَعْدِ الْأَمِينِ، اللَّهُمَّ اعْطُنَا وَلَا تُحرِّمنَا، وَأَكْرَمْنَا وَلَا تَهْنَا، وَآتِنَا وَلَا تُؤْثِرْنَا عَلَيْنَا، وَأَرْضِنَا وَأَرْضَ عَنَا، وَصَلِّ اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدِ النَّبِيِّ الْأَمِيِّ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ وَسَلِّمُ..

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ